نشأة المنظمات الدولية المهتمة برعاية المسنين

كان لظهور علم المسنين (Gerontology) في مجال العلوم الطبية في القرن التاسع عشر تأثيرًا كبيرًا في توجيه أنظار الباحثين في المجالات العلمية الأخرى، لدراسة هذه الشريحة من المجتمع. وفي عام ١٩٢٢ كان ظهور مؤلف الشيخوخة (Senescense) لستانلي هول. وقد كان هذا المؤلف دافعًا للباحثين السيكولوجيين للاهتمام بهذه المرحلة الختامية في حياة الإنسان. ثم تقدمت البحوث خلال الحرب العالمية الثانية، وأسهم فيها مركز بحوث ناميليد بجامعة كمبردج في بريطانيا بدور بارز. كما أسس المعهد القومي للصحة وحدة لبحوث المسنين بإشراف ناثان شوك بالولايات المتحدة عام ١٩٤٦م. وفي نفس العام تأسست جمعية لبحوث المسنين وصدرت عنها أول مجلة متخصصة في هذا الميدان Journal of Gerontology، ثم تأسس الاتحاد الدولي لعلم المسنين عام ١٩٥٠م International Association of Gerontology، يجمع مختلف المتخصصين في هذا المجال .

ومن أهم مؤشرات الاهتمام الدولي برعاية المسنين أن عـدد المجـلات العلمية الخاصة بهم وصلت إلى ٣٠ مجلة حاليا، وتوج هذا الاهتمـام عـام ١٩٨٢ بتأسيس الاتحاد الدولي للصحة النفسية للمسـنين International Psychogeriatic Association (٧).

تاريخ رعاية المسنين في مصر:

من المعروف أن نسق القيم للحضارة المصرية منذ عهد الفراعنة إلى الآن ينطوي على توقير واحترام للمسنين، لأن بلوغ الشيخوخة يكسب الإنسان مزيدا من الجرأة والحكمة، مما يرفع من مكانته ويحمله دورا أكثر تميزا. (٨)

كانت بداية الجهود المنظمة لرعاية المسنين في مصر في العصر الحديث جهودا أهلية في نهايات القرن التاسع عشر، ولظروف الاحتلال الأجنبي لمصر، ولوجود نسبة كبيرة من الأجانب كانت الدار الأولى لرعاية المسنين في مصر دارا أجنبية، وكانت بداية اهتمام القطاع الحكومي في مصر لرعاية المسنين في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين (حوالي عام ١٩٣٠م) حين أنشأت وزارة الشئون الاجتماعية أول دار رعاية للمسنين، ومن ثم بدأ الاهتمام يزداد بكبار السن على المستويين التشريعي والتنفيذي. وفي عام ١٩٨٢ عقد مؤتمر قومي لدراسة أوضاع المسنين ومشكلاتهم وأساليب رعايتهم. وبذلك أخذت الرعاية صفة علمية بتزايد الاهتمام بإجراء

بحوث في هذا المجال (٩). وكان إعلان الأمم المتحدة عام ١٩٩٩ م عاما دوليا للمسنين حافزا لبذل المزيد من الجهود لرعاية هذه الفئة المهملة نتيجة وضعها في أسفل قائمة الموضوعات من حيث الأولوية. ولأننا تأخرنا في الاهتمام العلمي والعملي بهذه الفئة، لذا يجب تأهيل المجتمع للتعامل مع هذه القضية من خلال الفهم والتدريب والشمولية في الرعاية، فهي جهد مشترك بين الحكومة والقطاع الأهلي. (١٠)

التطور الكمي لفئة كبار السن في مصر حاليا ومستقبلا:

إذا كان العام الدولي للمسنين قد انتهى، فمن الواجب التعرف على ما تم عمله حاليا، والمخطط له مستقبلا. ولتناول الرؤية المستقبلية لرعاية المسنين لابد من أن نتناول حجم وواقع مشكلة كبار السن من حيث أعدادهم حاليا، والتوقعات المستقبلية خاصة ونحن في مطلع الألفية الثالثة.

وبنظرة سريعة لنسبة عدد المسنين من إجمالي السكان نلاحظ زيادة مطردة في الأعداد، فمثلا عام ١٩٩٦م، كان التعداد العام للسكان بمصر حوالي ٥٩,٤ مليون نسمة، منهم ٣,٠٤ مليون نسمة من كبار السن وبنسبة ٥,١٢%، وفي عام ٢٠٠٦ سيبلغ التعداد العام للسكان حوالي ٧٠,١٧ مليون نسمة، ويبلغ تعداد كبار السن فيهم حوالي ٤,٩٨ مليون نسمة بنسبة ٧,١%، وفي عام ٢٠٢٥ سيبلغ التعداد العام للسكان ٩١,٧٨ مليون نسمة، ويبلغ عدد المسنين فيهم ٩,٨٢ مليون نسمة وبنسبة ١٠,٧%.

ومما سبق يمكن ملاحظة أن هناك تزايد في أعداد المسنين ونسبتهم لمجموع السكان، وقد يرجع ذلك لتراجع نسبة المواليد وارتفاع سن الزواج بين الشباب، وزيادة الوعي والرعاية الصحية لكبار السن، مما يزيد احتمال بقائهم على قيد الحياة لأعمار أطول من السنوات السابقة (١١). ومن الإحصائيات يلاحظ أيضا أن تزايد نسبة كبار السن يشكل زيادة في نسبة الإعالة، وعبئا على التنمية في مصر، لأن هذه الفئات من كبار السن تعتبر فئات مستهلكة وليست منتجة، مما يظهر حجم مشكلة كبار السن، وأنها في تزايد مستمر، وبذلك يتضح مدى الحاجة للبحث الحالي كضرورة تفرضها الظروف الحالية للمجتمع المصري، وضرورة وضع حلول لمشاكل هذه الفئات من المجتمع، وتوجيه اهتمام أكبر لرعايتها حاليا ومستقبلا.

دراسات سابقة : يتناول هذا الجزء استعراض أهم البحوث والدراسات السابقة التي تشترك مع البحث الحالي في جانب أو أكثر ووفقا لترتيبها التاريخي كما يلي:

١) دراسة محمود محمد السيد فرحات ١٩٨٨ (١٢) :

هدفت الدراسة إلى معرفة طبيعة التغيرات التي تطرأ على قدرات المسنين العقلية والبدنية لتنمية قدرتهم على التكيف الاجتماعي، كما تفيد أيضا الذين يقتربون من التقاعد بالكيفية التي يمكن من خلالها زيادة فرص العمل لهم بعد التقاعد عن طريق الاحتفاظ بصحة جيدة وتأمين المورد المالي، وتوفير حياة أسرية، وصلات اجتماعية جيدة، والبحث عن بدائل لمواجهة المشكلات الخاصة بفئات كبار السن، وفي النهاية توصل الباحث لوضع تصور جديد لرعاية المسنين.

٢) دراسة عبد الرحمن سيد سليمان ١٩٩٣ (١٣) :

هدفت الدراسة إلى معرفة موقف القرآن الكريم من سيكلولوجية الرشد والشيخوخة، وتوصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم قسم مرحلة الشيخوخة إلى ثلاث مراحل فرعية هي مرحلة الكهولة ــ مرحلة الشيخوخة ــ مرحلة أرذل العمر (وتقابل الفئات العمرية التالية بالترتيب : ٣٣ ــ ٦٥ سنة ، ٦٥ ــ ٨٠ سنة ، ٩٠ ــ نهاية العمر).

(٣) دراسة ميهورترا وآخرين (Mehortra, Chandra. M 1996) (١٤)

هدفت الدراسة إلى بيان تأثير علم الشيخوخة على اتجاهات الشباب نحو المسنين، وذلك بقياس اتجاهات عينة الدراسة (٢٢) معيد بقسم علم النفس قبل وبعد دراستهم المتخصصة في علم الشيخوخة لمدة أسبوعين، وكانت أهم النتائج : أن الدراسة المتخصصة لعلم الشيخوخة أدت إلى زيادة خبراتهم. وتكوين اتجاهات إيجابية نحو المسنين، وأن هناك زيادة في إقبالهم على القراءة للمسنين.

٤) دراسة رشاد أحمد عبد الطيف (١٩٩٨) :

هدفت الدراسة إلى التعريف ببعض أنواع سلوكيات كبار السن، وكيفية تعديل سلوكهم وبيان المداخل الحديثة للعمل مع المسنين، مثل الرعاية الأسرية (المنزلية)، والرعاية المفتوحة، والرعاية طويلة المدى (الممتدة)، وتوصلت الدراسة إلى أن الرعاية الأسرية هي أهم أسلوب من أساليب الرعاية لكبار السن.

٥) دراسة كريستوفر، دوكيـــن (Ward, Christoper, R., Duquin, Mary, E., 1988)(١٦)

هدفت الدراسة إلى إثبات تأثير رسالة تواصل الأجيال علـــى اتجاهـــات المتطوعين نحو كبار السن بملاحظة التغير في اتجاهات طـــلاب الصيدلـــة، والصحافة المتدربين على المسنين. وكانت أهم النتائج هـــي وجـــود تغـــير موجب كبير في اتجاهات المتطوعين نحو المسنين الذين يعملـــون معـــهم، وأن هذا التغير نتج عن التفاعل والخبرة في التعامل مع المسنين.

٦)عارف الدسوقي ١٩٩٩ (١٧) :

هدفت الدراسة إلى بيان خصائص كبار السن وإعدادهم حاليا ومســتقبلا ومدى رعاية الدستور والتشريعات الاجتماعية للمسنين في مصر، ومن ثـــم وضع رؤية مستقبلية في مجال رعاية وخدمـــات المســـنين. وكـــانت أهـــم التوصيات هي الاستفادة من المسنين في مجال تحفيظ القرآن ودور الأيتـــام، وأن تكون الاستفادة من المسن في مجال عمله، وخبرته أفضل من اللجـــوء للتدريب التحويلي، واستحداث شعبة في معاهد التمريض خاصة بجليســـات

المسنين، وإعداد أطباء في مجال طب المسنين، وإعـــداد برامـــج ومـــواد إعلامية مرئية تبرز دور الأسرة في رعاية المسنين.

٧) محمد الشحات الجندي ١٩٩٩ (١٨) :

هدفت الدراسة إلى بيان منزلة كبار السن في الإسلام، ومـــدى رعايـــة الدستور والتشريعات الاجتماعية للمسنين في مصـــر، ثـــم وضـــع رؤيـــة مستقبلية لأوضاع المسنين، وكانت أهم التوصيات هي التركيز على الـــدور الديني لأجهزة الإعلام لإضفاء القداسة على حقوق كبار السن بيـــن الأهـــل والأقارب، ووضع إطار منهجي لتوعية المجتمع بحسن رعاية المسنين مـــن خلال المساجد، والكنائس، والمجـــلات، والنشـــرات، تضمـــن التشـــريعات الاجتماعية حق المسنين في الرعاية الصحية والترفيهية عند بلـــوغ ســـن التقاعد، وزيادة المعاشات بصورة تتناسب مع الزيادة في أعبـــاء تكـــاليف المعيشة.

بعد استعراض الدراسات السابقة يمكن بيان موقع البحث الحالي منـــها والجديد الذي يمكن أن يضيفه البحث الحالي لتلك الدراسات، وهي كمـــا يلي:

- تناولت أغلب الدراسات السابقة مشكلة رعايـــة كبـــار الســـن بصـــورة جزئية، فهناك من يحاول إيجاد حلول لمشكلاتهم كما في دراسة فرحـــات ١٩٨٨، وهناك من يدرس الجانب السلوكي لكبـــار الســـن، وأســـاليب رعايتهم كما في دراسة عبد اللطيف ١٩٩٨، أو الجانب الاجتماعي كمـــا في دراسة الدسوقي ١٩٩٩، أو الجانب التشـــريعي كمـــا فـــي دراســـة الجنـــدي ١٩٩٩. وهنـــاك مـــن تنـــاول قضيـــة تواصـــل الأجيـــــال Intergenerational ومحاولة تغيير اتجاه الشباب نحو كبار السن كما في دراسة كريستوفر، وماري (Christophor & Marry, 1998).
- حداثة عهد الدراسات والبحوث المهتمة بمرحلة الشيخوخة في المجـــال التربوي، نظرا لأنها أقرب إلى العلوم النفسية منها إلى العلوم التربويـــة،

لذلك نلاحظ ندرة في الدراسات العربية والأجنبية التي تـــهتم بالجـانب الأصولي، أو الديني لرعاية المسنين في مصر.

- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في تحديد مجال الدراسة وخطوطها واتجاهاتها.

- يختلف البحث الحالي عن الدراسات السابقة في تناولـه لرعايـة كبـار السن بطريقة متكاملة تشمل الجانب الـتربوي النظـامي، واللانظـامي، ووضع منظور جديد لرعاية كبار السن.

مشكلة البحث :

تنبثق مشكلة البحث الحالي من حيث انتهت إليه البحـوث والدراسـات السابقة، وما أكده المؤتمر الدولي للمسنين المنعقد في مصر عـام ١٩٩٩م، وهو أننا لا يتوفر لدينا سياسة اجتماعية متكاملـة ومتطـورة فـي مجـال المسنين، وأن الأمر يقتضي وضع استراتيجيات وخطط وبرامـج مدروسـة تعتمد على أفراد علميين من كافة التخصصات المعنية بأمر المسنين. (١٩)

ومن الملاحظ أن معظم العلوم الإنسانية تركز على مرحلة الشباب، بينما الأفكار الشائعة عن كبار السن ومرحلة الشيخوخة أغلبها سلبية، ومما يدعم ذلك ما نقرأه في التراث الأدبي ووسائل الإعلام الحديثة المؤثرة على تشكيل أفكار الأسرة والمجتمع، وعلى المعتقدات والاتجاهات نحو المسنين. ولا ريب أن هذا يتطلب ظهور أنواع جديدة من الرعاية للمسنين، وهي الرعاية التربوية بنوعيها النظامي واللانظامي، إضافة إلى ما يتطلبه ذلك من تجديد للنظم التشريعية الوضعية استرشادا بالنظم والأحكام الإسلامية، ومن هنا يتضح مدى الحاجة للبحث الحالي.

تساؤلات البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث في صورة التساؤلات التالية:

١ ــ ما مدى ما توفره النظم والتشريعات الإسلامية من رعاية للمسنين؟

٢ ــ ما مدى توفر الرعاية التربوية للمسنين في مصر؟

٣ ــ ما مدى الاهتمام بمرحلة الشيخوخة في مناهج ومقررات إعداد المعلم بكليات التربية؟

٤ ــ ما التوصيات التي يمكنها أن تعد المجتمع لرعاية كبار السن، وتكـون منظور مستقبلي متكامل لحسن رعايتهم؟

حدود البحث :

هناك حدود بشرية وموضوعية للبحث، وتشمل ما يلي:

الحدود البشرية :

يتم تطبيق الدراسة الميدانية على عينة عشوائية من أعضاء هيئة التدريس شملت ٣٢ عضوا (في تخصص التربية ، علم النفس، والمناهج) للتعرف على آرائهم في المناهج والمقررات الدراسية، والموضوعات التي تخص مرحلة الشيخوخة، والتي ينبغي إضافتها للإعداد، أو التأهيل التربوي للطالب المعلم بكليات التربية لزيادة قدرته على توعية تلاميذه بحسن رعاية مسنيهم.

الحدود الموضوعية :

- **تشمل الرعاية التربوية للمسنين نوعيها النظامي (كالمدارس) ، واللانظامي (وتشمل وسائط الثقافة في المجتمع كالأسرة والمسجد ووسائل الإعلام).**
- **شملت الدراسة الميدانية كليات التربية ومقرراتها ومناهجها، تاركة مناهج ومقررات التعليم قبل الجامعي كاقتراح لبحوث أخرى.**

- يشمل التخطيط للمنظور الجديد لرعاية المسنين كل من الجانب الدينـــي والجانب التربوي.

منهج البحث :

المنهج المستخدم هو المنهج التاريخي لتتبع نشأة علم المسنين Gerontology، كما استخدم أيضا المنهج الوصفي التحليلي لوصف قضية رعاية المسنين في مصر، وتحليل مناهج إعداد المعلم الطالب بكليات التربية، للتعرف على الموضوعات الخاصة بمرحلة الشيخوخة.

أدوات البحث :

الأداة المستخدمة هي استمارة استبيان لاستطلاع رأي عينة عشوائية (٣٢ عضوا) من أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية عن المقررات، والموضوعات المقترح تضمينها لمناهج إعداد للطالب المعلم في كليات التربية عن المسنين.

أهداف البحث :

يتزايد الاقتناع يوما بعد آخر بأهمية دراسة الموضوعات المتصلة بكبار السن، وتطور البرامج التي يقدمها المجتمع للمسنين، بتغير احتياجاتهم في

ضوء المتغيرات المحلية والعالمية، وعلى ذلك تتحدد أهداف البحث الحالي فيما يلي:

١ ـ بيان الدور الذي يمكن أن تلعبه المؤسسات التربوية (غير النظامية) في المجتمع في رعاية المسنين.

٢ ـ بيان مدى رعاية الإسلام لكبار السن.

٣ ـ تفعيل دور المدرسة في توعية التلاميذ للقيام بدورهم في رعاية مسنيهم.

٤ ـ زيادة الاهتمام بمرحلة الشيخوخة في المناهج والمقررات الدراسية المقدمة للطالب المعلم في كليات التربية ومراحل التعليم قبل الجامعي.

٥ ـ تبني توصيات لوضع منظور مستقبلي يساعد على حسن رعاية كبار السن داخل الأسرة المصرية وخارجها.

مصطلحات البحث :

فيما يلي التعريفات الإجرائية للمصطلحات المستخدمة في البحث:

١) مفهوم كبار السن : هم الأفراد من الجنسين الذين تبلغ أعمـــارهم ٦٠ سنة فأكثر.

٢) الرعاية التربوية للمسنين: يتضمن نظام الرعاية الشـــاملة المتكاملـــة للمسنين نوعين من الرعاية هما:

أ ــ رعاية تربوية نظامية : وهي الخدمات التـــي تقدمـــها المؤسســـات التربوية التعليمية في المجتمع كالمدارس والجامعات.

ب ــ رعاية تربوية لا نظامية : وهي الخدمات التـــي تقدمـــها وســـائط الثقافة في المجتمع لكبار السن مثـــل الأســـرة والمســـجد ووســـائل الإعلام.

٣) التخطيط لرعاية المسنين: المقصود به إجرائيا وضع تصور مســـتقبلي لرعاية كبار السن، انطلاقا من أن الرؤية المستقبلية هي أحـــد أنـــواع التخطيط البعيد المدى، وأن بعضا من الأفكار لا توجد إمكانات لتنفيذهـــا في المستقبل القريب، لذا يهتم البحث الحالي بالبحث عمـــا ينبغـــي أن

تكون عليه الرعاية لكبار السن، لإثراء حياتهم بإيجاد البعد الغائب في مؤسسات الرعاية التربوية النظامية واللانظامية.

خطوات البحث :

يتبع البحث الخطوات التالية:

أولا : الإطار النظري : ويشمل ما يلي:

١ ــ رعاية الإسلام لكبار السن.

٢ ــ الرعاية التربوية لكبار السن في المجتمع المصري.

ثانيا : الإطار التطبيقي : ويشمل الدراسة الميدانية، وتصميم الأدوات وتطبيقها والنتائج.

ثالثا : المنظور المستقبلي لرعاية المسنين : ويشمل الناحية الدينية، والتربوية بنوعيها النظامي واللانظامي.